يسوع التاريخي وطرد الشياطين

د. جوني عوّاد

تُجمع الأناجيل الأنأجيل الإزائية في نظرتها إلى يسوع، على أنه كان طارد شياطين. فالتراث الإزائي يروي سبع قصص، بعضها بشكل مطول، والبعض الآخر باختصار، عن طرد يسوع لشياطين أو أرواح نجسة. وإذا ما تبنَّينا نظرية المصدرَين كحل لعلاقة الأناجيل الإزائية ببعضها، لوجدنا أن هذه القصص ترجع إلى مصادر مختلفة ومستقلة عن بعضها البعض[1]. وبالرغم من أن أغلبية القصص الإزائية هي من إنجيل مرقس (طرد الروح النجس في مجمع كفرناحوم، مر ١: ٢١ ـ ٢٨ والنص الموازي في لو ٤: ٣٢ ـ ٣٣؛ الروح النجس في ناحية جراسيين، مر ٥: ١ ـ ٢٠؛ الصبي المسكون بروح نجس، مر ٩: ١٤ ـ ٢٩ والنصوص الموازية في متّى ١٧: ١٤ ـ ٢١ ولو ٩: ٣٧ ـ ٤٣؛ وابنة المرأة الصورية التي فيها روح نجس في مر ٧: ٢٤ ـ ٣٠)، غير أن هناك قصة قصيرة من Q، موجودة في متّى ولوقا، عن الرجل الأعمى (الأخرس؟) الذي فيه شيطان، والتي ترد في مقدمة النص الشجاري حول علاقة يسوع ببعلزبول (متّى ١٢: ٢٢ ـ ٢٤أ؛ لو ١١: ١٤). أما المصدر الخاص بـ متّى (M) فيحوي قصة عن طرد لشيطان في رجل أخرس (متّى ٩: ٣٢ ـ ٣٣). والمصدر الخاص بـ لوقا (L) يشير باختصار إلى مريم المجدلية التي طرد منها يسوع سبعة شياطين، وبعض النساء اللواتي شُفين من أرواح شريرة وأمراض (لو ٨: ٢). هناك أيضاً إشارات موجزة من يد كُتّاب

(١) أتبنّى في هذه المحاضرة نظرية المصدرَين التي وضع أُسُسَها العلمية الباحث الألمانيH.J. HOLTZMANN في القرن التاسع عشر. تقول هذه النظرية إن إنجيل مرقس هو أول إنجيل كُتب. استخدم متّى ولوقا إنجيل مرقس كمصدر أساسي، ومصدر آخر مشترك بينهما سُمِّي بـ Q (Quelle). بالإضافة إلى هذين المصدرين الأساسيين، كان لكل من متّى ولوقا مصدران حصريان خاصان بهما (L وM) مما يفسّر الوجود الحصري لبعض القصص والأقوال في هذين الإنجيلين.

الأناجيل على أن يسوع طرد شياطين وأرواح نجسة كثيرة (متّى ٨:١٦؛ لو ١٣:٣٢؛ مر ١:٣٤، ٣٩)، أو أنه أعطى سلطة لتلاميذه كي يطردوا الشياطين (متّى ١٠:١، ٨؛ مر ٦:١٣).

كل هذه المعطيات تؤكد لنا أمرين مهمّين: الأمر الأول هو الإجماع الإزائي في نظرته إلى يسوع كطارد شياطين. والأمر الثاني هو تاريخية النظرة الإزائية كون المعطيات آتية من مصادر مختلفة ومستقلة عن بعضها البعض.

في ما يلي سأسلّط الضوء على طرد الشياطين كظاهرة تميزت بها خدمة يسوع، شارحاً خلفياتها التاريخية، ومقيّماً معناها وأهميتها على مستوى رسالته. لن أتطرق إلى القصص المختلفة بحد ذاتها لتأكيد تاريخيتها، لأن المهمّ ليس تاريخية كل قصة بقدر ما هو تاريخية النظرة الإزائية إلى يسوع كطارد شياطين، والتي حاولت إثباتها سابقاً. وسأختم بنظرة معاصرة عن يسوع وطرد الشياطين.

سأبدأ من خلال أحد نصوص إنجيل مرقس (٣: ١٩ب ـ ٢٧)، والمتعلق بالشجار أو الخلاف بين يسوع ومعارضيه حول علاقته ببعلزبول. النص بشكل عام، ومثل ربط الرجل القوي بشكل خاص، الموجود ضمن النص، يمفصلان أهمية طرد يسوع للشياطين. النص يقرأ كالتالي: "ثم أتوا إلى بيتٍ، فاجتمع أيضاً جمع حتى لم يقدروا ولا على أكل خبزٍ. ولما سمع أقرباؤه، خرجوا ليمسكوه، لأنهم قالوا إنه مختل، وأما الكتبة الذين نزلوا من أورشليم فقالوا إن معه بعلزبول، وإنه برئيس الشياطين يخرج الشياطين. فدعاهم وقال لهم بأمثال: كيف يقدر شيطان ان يُخرج شيطاناً؟ وإن انقسمت مملكة على ذاتها لا تقدر تلك المملكة أن تثبت؛ وإن انقسم بيت على ذاته لا يقدر ذلك البيت أن يثبت؛ وإن قام الشيطان على ذاته وانقسم لا يقدر أن يثبت بل يكون له انقضاءٌ. لا يستطيع أحد أن يدخل بيت قوي وينهب أمتعته إن لم يربط القويَّ أولاً وحينئذٍ ينهب بيته."[٢]

(٢) كل المقاطع الكتابية مأخوذة من ترجمة البستاني ـ فانديك.

هذا النص موجود أيضاً في متّى ولوقا، مع بعض الاختلافات والفروقات (متّى ١٢: ٢٤ ـ ٢٩؛ لو ١١:١٥ ـ ٢٢)، لكن الأهمّ من ذلك أن القصة في كل من لوقا ومتّى تتضمن قولاً ليسوع بغاية الأهمية(٣). ففي لوقا يقول يسوع: "ولكن، إن كنت بإصبع الله (أي بقوة الله: أنظر خر ٨:١٥) أُخرج شياطين، فقد أقبل عليكم ملكوت الله" (لو ١١:٢٠). والنص الموازي في متّى يقرأ: "ولكن إن كنت بروح الله أخرج الشياطين، فقد أقبل عليكم ملكوت الله" (متّى١٢:٢٨).

هناك شبه إجماع بين الباحثين على تاريخية قصة الخلاف بين يسوع ومعارضيه، كون القصة محرجة لما فيها من اتهام ليسوع على أنه متواطئ مع بعلزبول، وانه في حلف معه. قصة بهذا المستوى من الإحراج لا يمكن أن تكون من نتاج مخيلة الكنيسة الأولى. أما في ما خص قول يسوع عن علاقة طرد الشياطين بمجيء الملكوت في كلٍّ من لوقا ومتّى، فمن المحتمل جداً أن يكون النص في لوقا هو الأكثر أصالة وقرباً من Q، وأن يكون بالتالي من يسوع التاريخي(٤).

هناك أمران ملفتان للنظر في هذه النصوص. الأول، إعتبار أنَّ طَرْدَ يسوع للشياطين هو البرهان القاطع على أن ملكوت الله قد أتى أو قد وصل. والثاني هو ارتباط هذا المجيء ارتباطاً عضوياً بشخصه وخدمته، وبالأخص في طرده للشياطين. طرد الشياطين هو العلامة على أن الملكوت قد أتى، وان يسوع في طور ربط الرجل القوي (الشيطان) ونهب بيته.

لكن ما معنى أن يأتي ملكوت الله، ويأتي بالتحديد من خلال طرد يسوع للشياطين؟ ما هو ملكوت الله؟ ولماذا طرد الشياطين؟ مما لا شك فيه أن هناك إجماعًا أكاديميًا، نابعًا من إجماع إزائي، على أن رسالة الملكوت أو بالاحرى مجيء الملكوت شكّل الأطروحة المركزية للحركة الاصلاحية التي قادها يسوع في

(٣) من المحتمل أن تكون قصة الشجار حول علاقة يسوع ببعلزبول قد وردت في كل من مرقس Q، أي أن هناك تطابقًا بين مرقس وQ على هذا النص.

(٤) حول تاريخية لو ١١:٢٠ وقرب نص لوقا من النص الأصلي لـ Q ، أنظر:

J. P. MEIER , *A Marginal Jew* (New York: Doubleday,1994), vol. 2: 410 ‑411, 416 ‑ 417.

مجتمعه اليهودي. ولكن، بالرغم من استعماله المستمر لهذه العبارة (ملكوت الله)، إلاّ أن يسوع لم يحدّد بشكل حاسم معناها وما قصده بها. عندما تكلم عن الملكوت تكلم عنه بأمثال ("يشبه ملكوت الله..."؛ "بماذا نشبّه ملكوت الله...؟"). ما يزيد من ضبابية العبارة هو شح وجودها في العهد القديم والكتابات اليهودية غير القانونية(٥).

أمام هذه الحال انطلق البحث عن معنى العبارة من خلال أفق آخر، ولكن ذات علاقة بالعبارة. أعني موضوع "ملك الله" في العهد القديم . هذا البحث موجود في كتاب John Meier (*A Marginal Jew*) ولا داعي لإعادة سرده هنا، سأكتفي بعرض بعض استنتاجاته. بعد المسح الشامل لموضوع "ملك الله" في العهد القديم وكتابات ما بين العهدين، يخلص Meier إلى أنه في فترة ما بعد السبي البابلي، وبعد رجوع شعب إسرائيل إلى فلسطين، وما رافقه من انحطاط خلقي وظلم وجور في إسرائيل ، بدأ مجيء ملك الله محط آمال ورجاء الأنبياء في وضع حدٍّ نهائيّ لواقع العالم الراهن وبسط ملكه العادل بشكل كامل وعلى كل خلقه(٦).

استعمال يسوع لعبارة "ملكوت الله"، إذاً كان بهدف إيقاظ أمل ورجاء الأنبياء في مخيلة معاصريه حول قدوم ملك الله إلى العالم ليخلّص ويحرر. هو رجاء بعالم جديد تسوده العدالة، متحرر من قيود الشر والبغض والعنف والفساد (أنظر أش ٥٩ : ٩ ـ ٢١، وبالأخص آ ٢٠ ـ ٢١).

بهذا القصد قام يسوع بإعلانه الأول عند بدء خدمته حسب إنجيل مرقس: "قد كَمُلَ الزمان، واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل" (١٥:١). ويُصر في إنجيل لوقا على أن الملكوت لم يقترب فحسب، بل إن ملكوت الله هو ها هنا "في داخلكم" (٢١:١٧). الأناجيل الإزائية تشير بوضوح وبصوت واحد إلى أنّ خدمة يسوع بالقول والفعل كانت تجسيدًا لدخول ملك الله إلى العالم ليفدي ويخلّص ويجدّد ويحرّر. من خلال خدمة يسوع كان العالم الجديد الذي تطلع

(٥) ترد العبارة في أخبار الأيام الأول ٢٨:٥، وفي كتاب حكمة سليمان ١٠:١٠

(٦) أنظر: J. MEIER , *A Marginal Jew*, vol. 2: 348 ـ 349

إليه الأنبياء يخترق ويثقب العالم القديم. في أمثاله تحدّى يسوع فكر سامعيه ودعاهم إلى الدخول إلى ملكوت الله لكي يتشكلوا به. من خلال عجائبه وشفاءاته كانت نبوءات أشعيا النبي ورجواته تتحقق: "العمي يبصرون، والعرج يمشون، والبرص يطهرون، والصم يسمعون، والموتى يقومون، والمساكين يُبَشَّرون" (متّى ١١:٥؛ أنظر أش ٢٩:١٨؛ ٣٥:٥؛ ٤٢:٧، ١٨؛ ٢٦:١٩). وأيضاً حسب لوقا: "روح الربّ عليَّ لأنّه مسحني لأبشّر المساكين، أرسلني لأشفي المنكسري القلوب، لأنادي للمأسورين بالإطلاق، وللعمي بالبصر، وأرسل المنسحقين في الحرية، وأكرز بسنة الرب المقبولة" (٤:١٨ ـ ١٩؛ أش ٦١:١ ـ ٢). مشاركته بموائد المهمَّشين كانت احتفالاً بفرح الملكوت، وإعلاناً مسبقاً عن مائدة الملكوت الأخيرة. أما في طرده للشياطين، فكان مجيء ملكوت الله يتجسد حاضراً ("ولكن إن كنت بإصبع الله أُخرج شياطين، فقد أقبل عليكم ملكوت الله"). ملكوت الله، ملكوت الخلاص والتحرر، لم يكن ليقتصر على الوضع الروحي لأشخاص هنا وهناك، إنما كان له أبعاد اجتماعية وسياسية واقتصادية سأعرض لها لاحقاً.

لكن لماذا ربَطَ يسوع مجيء الملكوت بطرده للشياطين بشكل لا مثيل له في الجوانب الأخرى لخدمته؟ لماذا الشيطان أو الشياطين بالتحديد؟ من هي تلك الشخصية؟

كان عالم يسوع الفكري والديني من نسيج أبوكاليبتي (رؤيوي). الثنائية كانت أهم ميزاته. مجرى التاريخ والوجود البشري كانا نقاط تجاذب، أو ساحات قتال، بين القوى الفوطبيعية، أي الله والشيطان. هذه النظرة للواقع لم تكن بغريبة. فقد تبنّتها جماعات يهودية مختلفة، أبرزها جماعة قمران (٣:١٨ ـ ٤:٢٤ IQS)، وتشهد لها كتابات ما بين العهدين. هذا الصراع لم يكن فقط فوطبيعي أو على المستوى الروحي، إنما كان أيضاً صراعاً على مجرى التاريخ والوجود البشري تمظهر جليّاً في امتلاك الشيطان قلوب البعض والفتك مرضاً وألماً بأجساد آخرين، وتمعكس عنفاً اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً وقع في شباكه شعب إسرائيل كأفراد وكجماعة(٧). يقيني أن يسوع كان يعتقد أن حياة شعب إسرائيل لم تعد ساحة

(٧) R. A., HORSLEY, *Jesus and the Spiral of Violence* (Minneapolis: Fortess Press, 1993) 187.

قتال بين الله والشيطان، إنما اصبحت بأكملها تحت قبضة الشيطان، ترزح كعبدة تحت وصاية سيدها.

هذا هو العالم الفكري والديني الذي تأثر به يسوع. فهمه لخدمته بالقول والفعل، وبالأخص طرده للشياطين، كان مرتبطًا إرتباطاً عضوياً بالنظرة الأبوكاليبتية للعالم. إسرائيل كأفراد وكجماعة، كمؤسسات وكقادة روحيين وسياسيين، هي في قبضة الشيطان. من دون هذه الخلفية لا يمكننا فهم قول يسوع للفريسيين الذين أتوه محذرين من أن هيرودس أنتيباس ينوي قتله: "أمضوا وقولوا لهذا الثعلب ها أنا أخرج شياطين، وأشفي اليوم وغداً، وفي اليوم الثالث أكمِّلُ" (لو ١٣: ٣٢). إن وصف هيرودس بالثعلب هو دلالة على نظرة يسوع السلبية له وتقييم ناقد لحكمه. الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي الذي أفرزه حكم هيرودس هو نتاج قبضة الشيطان على مجرى الأمور. إن كان هيرودس قادر على تهديد حياة يسوع، فإنّ يسوع أيضاً قادر على تهديد حكم هيرودس بطرده للشياطين التي ترعى حكمه.

هناك تناقض جوهري بين ملكوت الله، وممالك هذا العالم التي ترعى شؤون مجتمعاتها، لأنها كلها فريسة الشيطان. بماذا يغوي الشيطان يسوع في تجربته في البرية؟ "ثم أخذه أيضاً إبليس إلى جبل عالٍ جداً، وأراه جميع ممالك العالم ومجدها. وقال له: أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي" (متّى ٤: ٨ ــ٩). هذا يعني أن ممالك هذا العالم ــ ان الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي لهذا العالم ــ هو تحت سيطرة الشيطان كونه قادرًا على أن يمنحها لمن خرّ وسجد له. ملكوت الله لا يمكن أن يملك في ممالك هذا العالم. ليكون البديل عليه ثقبها واختراقها مثل ما كان على يسوع أن يربط الرجل القوي لينهب بيته.

السؤال المطروح أمامنا هو من أين هذه النظرة الأبوكاليبتية للعالم التي تبنّاها يسوع ودور الشيطان فيها، خصوصاً أن الشيطان في العهد القديم لا يلعب الدور الذي يلعبه في فكر يسوع. ففي العهد القديم يرد الفعل العبري «شَطَن» فقط ست مرات (مز ٣٨: ٢٠؛ ٧١: ١٣؛ ١٠٩: ٤؛ ٢٠: ٢٩؛ زك ٣: ١)، ويحمل معنى "يعيق"، "يَسُد"، "يُعارض"، "يَتّهم"، ليكون "خصماً" أو "عدوّاً". أما الاسم "شَطَن"

(الكلمة العبرية للشيطان والمترجمة بالسبعينيةبـ diabolos) فَيَرِدُ ستًّا وعشرين مرة، في سبعة منها لوصف كائن بشريّ بالعدوّ أو الخصم (١ صم ٢٩:٤)، والتسع عشرة الباقية للإشارة إلى كائن سماوي أو فوطبيعي. في ثلاث منها من دون أداة التعريف (أي كشخصية، ١ أخ ٢١:١؛ عد ٢٢:٢٢، ٣٢)، وفي البقية مع أداة التعريف (هَشطن) لتعني "المُتَّهِم"، "المعيق"، "العدو"، "الخصم"، أي أنها تشير إلى دورٍ وظائفي يمكن لأيّ كائن آخر القيام به، وليس بالضرورة إلى شخصية واحدةٍ محدَّدة. الملفت للنظر هو أن العهد القديم يُعرِّف الشيطان كواحد من ملائكة الله، والملائكة كانت تدعى ابناء الله. أما في ما خص دوره الوظائفي، فهو مستمدّ من إِمرة الله. بشكل عام، ومن ناحية دوره الوظائفي، الشيطان لا يتصرف باستقلالية عن الله، إنما يعمل لتحقيق أهداف ومقاصد الله (على سبيل المثال قصة بلعام والملاك الذي أعاق دربه حسب عد ٢٢، أو في سفر أيوب حيث يعمل الشيطان بموافقة الله ليجرّب أيوب). إذاً هو خادم لله ويعمل بموافقته. لكن في زكريا واخبار الأيام الأول نرى بداية تَبَدُّل في صورة الشيطان من دور وظائفي تحت أمرة الله إلى شخصية معادية لله. في زكريا يساهم الشيطان في تسبيب انقسام ضمن إسرائيل بوقوفه إلى جانب فريق ضد فريق آخر (٣:١ ـ ٢)، وفي اخبار الأيام الأول يُحرّض داود، ضد إرادة الله، على إقامة احصاء بهدف تنظيم النظام الضرائبي(٢١:١: "ووقف الشيطان ضد إسرائيل، وأغوى داود ليحصي إسرائيل")(٨).

بالرغم من هذا التطور والتبدل في الصورة، فالشيطان لا يصل في العهد القديم إلى الحدّ الذي يتصوّره يسوع في الأناجيل كرئيس لأمبراطورية الشرّ القابضة بيدها ليس فقط على شعب إسرائيل إنما على العالم بأسره.

الخلفية المباشرة لنظرة يسوع إلى العالم ودور الشيطان فيه تكمن في فترة ما بين العهدين (٢٠٠ ق.م. ـ ٢٠٠ ب.م.). إن دخول الحضارة الهلينية إلى الشرق بشكل عام ، وإلى أرض فلسطين بشكل خاص، أدّى إلى انقسامات يهودية ـ

(٨) القصة ذاتها ترد في ٢ صم ٢٤:١ ـ ١٧، ولكن هناك الله مَنْ يأمر بإحصاء إسرائيل.

يهودية، بين دعاة للتأقلم مع تلك الحضارة، وبين رافضين لها. إحدى مظاهر الرفض كانت الثورة المكّابية سنة ١٦٨ق.م. في ظل هذا الصراع اليهودي الداخلي بدأت الأسئلة تُسأل: من يقود شعب إسرائيل؟ من هي إسرائيل الحقيقية؟ من يقف إلى جانب الله، ومن يسير في طريق الأمم؟ من يكسر عهد الله؟

نتيجة هذا الصراع كان خروج بعض الجماعات عن اليهودية التقليدية (على سبيل المثال الجماعة التي استقرت في قمران)، وبروز كمٍّ هائل من الكتابات اليهودية غير القانونية (Apocrypha, Psuedepigrapha). في هذا الجو بدأت المجموعات المنشقة بكتابة القصص، انطلاقاً من تك ٦، عن بدايات الشيطان وأصله، ومن ثم سقوطه، وذلك بهدف وصف معارضيهم من اليهود على أنهم يجسدون بفكرهم وحياتهم قوى الشر التي كانت قد سقطت، والتي أعطوها أسماءً مختلفة (الشيطان، بعلزبوب، سيمحازا، ازازيل، بليعال، أمير الظلمة...)[٩]. كتاب أخنوخ الأول ٦ ـ ١٤ وكتاب يوبيلي ٥ يقدمان لنا أمثلة عن هذه القصص.

إن ما يحدث في إسرائيل من انشقاقات هو مشابه لما جرى على المستوى الفوطبيعي عندما سقطت الملائكة، ونتيجة حتمية له[١٠]. إسرائيل أضحت أسيرة الصراع الفوطبيعي بين أمبراطورية الله وأمبراطورية الشيطان ومسرحاً له.

إذاً الشيطان كشخصية فوطبيعية، معادية لله، تملك على أمبراطورية الشر، وتعيث فساداً في المجتمع، وتمتلك أشخاصاً بأمراض وتفتك بهم هي من نتاج مخيلة جماعات عاشت في فترة ما بين العهدين، كانت الانشقاقات الداخلية المسبب الرئيسي لها. يسوع كان ابن بيئته وتبنّى تلك النظرة للعالم وفهم خدمته في ضوئها.

على المستوى المعاصر، هناك العديد من الأسئلة التي يمكن أن تطرح . إذا كان الشيطان كشخصية فوطبيعية يملك على أمبراطورية الشرّ هو من نتاج مخيلة

---

(٩) استوحيت بعض هذه الأفكار من الدراسة المعمقة لـ
E. PAGELS, *The Origin of Satan* (New York: Random House,1996).

(١٠) J.J. COLLINS, *The Apocalyptic Imagination* (New York: Crossroad,1984).

جماعات يهودية عاشت في ظروف معينة، كيف نفسر طرد الشياطين؟ هل كان يسوع حقّاً يطرد كائنات فوطبيعية؟ هل طَرْدُ الشياطين وَهْمٌ في خدمة يسوع؟ هل نشارك يسوع في نظرته إلى العالم كما فهمه هو ونحن اليوم في القرن الحادي والعشرين؟

هذه الأسئلة مهمة وذات أبعاد لاهوتية بغاية الدقة. في ما يلي بعض الاقتراحات للإيجابة عليها. في كتابه *A Marginal Jew*، يقول John Meier: إذا ما نظرنا إلى المعرفة الطبّية في القرن الأول كما كانت عليه، فإنه من الطبيعي رد الأمراض العقلية، أو السيكوسوماتية (أي الاضطرابات الجسدية الناتجة عن اضطرابات عقلية أو عاطفية)، أو داء الصرع المزمن (Epilepsy) إلى تملك الشياطين لأشخاص. وإذا فهم يسوع دعوته على أنها دعوة لمجابهة هذه القوة لأنها تفتك ألماً بحياة شعبه، فمن الطبيعي له، كيهودي في القرن الأول، أن يفهم هذا الجانب من خدمته على أنه طرد للشياطين(١١).

Stevan Davies في كتابٍ له بعنوان **يسوع الشافي** (*Jesus the Healer*) يبحث في ظاهرة امتلاك الشياطين وطردها في خدمة يسوع من منظارين(١٢): الأول انتروبولوجي (علم الإنسان)، والثاني من خلال طب النفس أو الطب العقلي (Psychiatry). بناءً على دراسات وتحاليل أنتروبولوجية ،من عدة أماكن معاصرة، حول ظاهرة تملك الشياطين، يقول Davies: ان الظاهرة هي الأكثر انتشاراً عند أشخاص في أسفل التركيبة الاجتماعية، إذ يكونون، على الصعيد الاجتماعي، أقل شأناً وأهمية، وخاضعين ضمن تركيبة عائلاتهم. وبما أن الأغلبية الساحقة للمجتمعات هذه بطبيعتها ذكورية، فإنّ النساء هنّ بالإجمال ضحايا هذه الظاهرة. بسبب وضعهنّ الاجتماعي الخاضع، وانعدام فرص المساعدة والدعم، تعاني هؤلاء من قلق حاد. للتغلب على القلق يتظاهرن بأنّهنّ ممتلكات من أرواح شريرة أو شياطين، وذلك بهدف لفت الأنظار والاهتمام والشفقة. إذاً امتلاك الشياطين هي آلية للتعاطي مع مشكلة اجتماعية للتغلب عليها. في هذا السياق

(١١) J. MEIER , *A Marginal Jew*, vol. 2: 407.

(١٢) S. DAVIES, *Jesus the Healer* (London: SCM Press,1995).

يشير Davies إلى أنّ معظم الأشخاص الذين طرد منهم يسوع شياطين أو أرواح شريرة كانوا يعانون حالات اجتماعية مشابهة، وأن أكثرهم كانوا من النساء، مستشهداً بـ لو ٨: ١ ـ ٣: "وعلى أثر ذلك كان (يسوع) يسير في مدينة وقرية ويكرز ويبشر بملكوت الله، ومعه الاثنا عشر وبعض النساء كنَّ قد شفين من أرواح شريرة وأمراض: مريم التي تدعى المجدلية التي خرج منها سبعة شياطين، ويونا امرأة خوزي وكيل هيرودس، وسوسنة، وأُخرَيَات كثيرات كنَّ يخدمنه من أموالهنَّ. ويخلص Davies بالقول إلى أن امتلاك الشياطين ليس حدثًا فوطبيعيًّا بقدر ما هو آلية لمجابهة الواقع، أو نمطًا من الردّ على واقع اجتماعي معيّن(١٣). طرد يسوع للشياطين إذاً كان شفاء هؤلاء اجتماعياً، أي قبولهم كمتساوين وخرطهم في صلب خدمته.

النظرة التحليلية الثانية لظاهرة امتلاك الشياطين ترتكز على أبحاث في الطب النفسي أو العقلي، وبالتحديد ما يسمى بـ "انفصام الشخصية"(*) هذا يعني وجود شخصيتين أو أكثر في الشخص الواحد تسيطر على تصرفاته وتعاطيه الاجتماعي. هذه الحالات لها جذورها بشكل عام في طفولة الإنسان، ومردها إيذاء أو تعدٍّ جنسي. ولكن هناك مسبِّبات أخرى مثل تأثّر شخص ما بموت عزيز، أو حادث معين، أو كوارث حروب ، أو الانتقال من بيئة إلى أخرى. لاحتواء الأذى الحاصل نتيجة المسبِّبات التي ذكرتها، يخلق الشخص المعتدى عليه أو المتضرر شخصية (أو شخصيات) بديلة. مع مرور الزمن يبدأ الغضب الناتج عن الأذى بالتفاعل ليصبح منظماً بشكل شخصية أو شخصيات لها عواقب على تفاعل الشخص اجتماعياً.

لا أريد تبنّي طروحات Davies بالكامل. هذا البحث يستوجب التعمق فيه أكثر. لكن الهدف الرئيسي من ذكره أنه آن الآوان للنظر إلى ظاهرة امتلاك الشياطين، وطرد يسوع لها، من خلال المسارات التي رسمها Davies أو من خلال مسارات بديلة.

---

(١٣) S. DAVIES, *Jesus the Healer*, 85 - 86.

(*) (MPD: Multiple Personality Disorder, أو DID: Dissociative Identity Disorder).

إن قوى الشر في هذا العالم هي واقع حقيقي، لكنها نابعة من قلب الإنسان، وليست من خارجه، وتتمظهر عنفاً جسدياً، ونفسياً، وفكرياً، واجتماعياً، واقتصادياً، وسياسياً، تطال أفراداً وجماعات. ولأنّ يسوع كان ابن بيئته، ردّ تمظهر قوى الشر هذه إلى الشيطان، وجابهه بكل تجسّداته ومظاهره تأثراً، شافياً، معلماً. قد لا نشارك يسوع نظرته إلى العالم، لكن قوى الشر التي نسبها إلى الشيطان كانت ولا تزال حقيقية. إن وجود الشيطان كشخصية فوطبيعية غير مهم لواقع الشر في العالم ولقوته في قلب الإنسان، ودعوة يسوع كنيسته لمحاربته والتصدي له أينما وُجد.